ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Raghda Zuhair Magtoof
Imam Al-Kadhim College of Islamic Sciences \ Wasit divisions

Dr.Fawzi Khairy Kazem
Imam Al-Kadhim College of Islamic Sciences \ Wasit divisions
Email: fawzy1000@gmail.com

Keywords:
Abrogation and Abrogated, Saleh Al-Tai, Reordering, Authority, Abrogation Issues, Holy Quran.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 8 Mar 2024
Accepted 31 Mar 2024
Available online 1 Apr 2024

Challenges of Abrogation in the Holy Quran: A Descriptive Analytical Study of Saleh Al-Tai's Book "Abrogation and the Abrogated"

A B S T R U C T

The research discusses "Abrogation (Naskh) and Abrogated (Mansukh) Verses in the Holy Quran." The significance of this topic stems from its relation to the Holy Quran. Many Muslim scholars have extensively deliberated on this aspect. Some affirm the existence of abrogation in the Quran, while others argue against its existence altogether, asserting that there should not be abrogation in its blessed verses. Scholars and intellectuals of the Muslim community have not settled solely on these two opinions; rather, each faction has diverged from the other regarding the origin of abrogation, the number of abrogated verses, and the presumed categories of abrogation. Researchers, particularly contemporary scholars, have extensively addressed this topic, with notable attention. One such figure is the researcher and thinker Dr. Saleh Al-Tai, in his book titled "Abrogation and the Abrogated: A Political Attempt to Reorder Islam after the Prophetic Era." He eloquently presented the scholars' views on this subject, conducting an extensive study and scrutinizing the most significant articles and opinions. He arrived at important conclusions, notably that the authorities and their jurists sought to exploit the chaos prevailing in the scholars' opinions and the numerous hadiths they cited, alleging the occurrence of abrogation in the Quran. They utilized this to reframe the concept of abrogation into a thought outside the principles and richness of Islamic thought. Therefore, we deemed it necessary to delve into this book and study these opinions, shedding light on them through this research paper.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss16.3464

اشكاليات النسخ في القرآن الكريم ـ كتاب (الناسخ والمنسوخ) لصالح الطائي دراسة وصفية تحليلية

الباحثة: رغدة زهير مكطوف / كلية الإمام الكاظم ع للعلوم الإسلامية/أقسام واسط
د. فوزي خيري كاظم / كلية الإمام الكاظم ع للعلوم الإسلامية/أقسام واسط

الخلاصة:

يتحدث البحث عن موضوع غاية في الأهمية إلا وهو موضوع (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم)، وتأتي أهمية هذا الموضوع من كونه متعلق بكتاب الله سبحانه، وهذه الجزئية المهمة منه توقف عندها علماء المسلمين كثيراً، وأكثروا من الخوض فيها، فبرزت لديهم آراء مختلفة، بعضها يؤيد وجود النسخ في القرآن،

وبعضهم يرى عدم وجوده من الأساس، وأنه لا ينبغي أن يكون هناك ناسخ ومنسوخ في آياته المباركة، لأن ذلك يفترض وقوع الجهل من الله – تعالى شأنه عن ذلك - ولم يكتف علماء الأمة ومفكريها بهذين الرأيين، وإنما ذهب كل فريقٍ منهم إلى الخلاف على الآخر من حيث أصل وقوع النسخ، أو من حيث عدد الآيات المنسوخة، أو من حيث أقسام النسخ المفترض وقوعها. وقد أفاض الباحثون ولاسيما المحدثون منهم في الحديث عن هذا الموضوع وأولوه عناية بالغة، ولعل أحد هؤلاء يبرز اسم الباحث والمفكر الدكتور صالح الطائي في كتابه الموسوم (الناسخ والمنسوخ محاولة سياسية لإعادة تراتبية الإسلام بعد عصر البعثة)، وقد أجمل فيه آراء العلماء حول هذا الموضوع، فقام بدراستها دراسة مستفيضة ووقف على أهم مقالات العلماء وآرائهم، ووصل إلى استنتاجات مهمة، لعل أهمها هو أن السلطة وفقهاءها قد حاولوا الافادة من حالة الفوضى التي سادت آراء العلماء والأحاديث الكثيرة التي أوردوها في النص على وقوع النسخ في القرآن مما جعلهم يستغلون ذلك في إعادة صياغة فكرة النسخ إلى فكر خارج عن مبادئ الإسلام وفكره الثر. لذا فقد ارتأينا الولوج إلى هذا الكتاب ودراسة تلك الآراء وتسليط الضوء عليها من خلال هذه الأوراق البحثية.

الكلمات المفتاحية: الناسخ والمنسوخ، صالح الطائي، تراتبية، السلطة، إشكاليات النسخ، القرآن الكريم.

المقدمة

من أكثر الموضوعات التي شغلت الباحثين قديما وحديثاً هو موضوع النسخ في القرآن الكريم، فقد ذهب فيها العلماء ومفكرو الأمة الإسلامية كل مأخذ، وسلكوا فيه كل مسلك ممكن أن ينفذوا منه إلى هذا العالم المضطرب والمليء بالعثرات الفكرية، فموضوع الناسخ والمنسوخ وعدد الآيات المنسوخة وحكمة النسخ وأقسامه كلها موضوعات شغلت العلماء ردحاً طويلاً من الزمن، فمن قائلٍ بوقوعه لحكمةٍ اقتضتها ضرورة الدين، ومن آخر ذهب إلى أن وقوع النسخ جهل في حكمة الله تعالى – حاشا لله – وبين رأي كل فريقٍ منهم كانت هناك محاولات لردم الهوة وتقريب المسافات بين هذا الرأي وذاك، مما جعل تشعّب هذه الآراء وكثرتها ومحاولاتهم تضييق مساحة التناقضات بينها، ظهر لدينا هفوات كثيرة نتيجةً لتلك المحاولات، تمثلت في وقوع المحدثين والعلماء بفكرة الانتقاص من القرآن والقول بزيادة بعض آياته أو بنقصها في أماكن أخرى، وهو الرأي الذي تولد نتيجة القول بتعدد أقسام النسخ وغيره.

وأسفرت تلك المحاولات عن شبهات وإشكالات عدة استغلها بعض ضعاف النفوس؛ للتقليل من قدسية القرآن الكريم، فضلاً عن محاولات المستشرقين استغلال تلك الهفوات لمصالحهم ولضرب الإسلام. وقد حاول العديد من المفكرين المعاصرين التصدي لمحاولة تفكيك هذه الأحاديث ونقدها نقداً منهجياً علمياً مبنيٌ على الدليل،

وتقديم رؤية وقراءة جديدة لفهم طبيعة هذا العلم، ومحاولة التصدي لتلك المحاولات المشبوهة في النيل من الدين الإسلامي والقرآن. ومن أهم تلك المحاولات تبرز محاولة المفكر الدكتور صالح الطائي في كتابه (الناسخ والمنسوخ محاولة سياسية لإعادة تراتبية الإسلام بعد عصر البعثة) وهو محاولة جديدة في بابها، حيث تصدى الباحث لطرح أهم الإشكاليات التي رافت الكتابة عن علم الناسخ والمنسوخ في القرآن وما تبع ذلك من محاولات لجرّ الموضوع إلى أبعاد فكرية جديدة، تسببت بتوجيه العديد من الاتهامات للإسلام والانتقاص من القرآن الكريم، فكانت محاولته هذه وكتابه تستحقان البحث عنهما والدخول في أغوارهما لتتبع هذا العلم وأهم الأقوال والآراء التي طرحها من سبقه من العلماء والمحدثين المسلمين، للوقوف على حقيقة هذه الجزئية المهمة.

ومحاولة منا لتسليط الضوء على هذا العلم ولاسيما محاولة الباحث الدكتور الطائي فقد اتخذناه ليكون موضوعاً لبحثنا هذا. وقد انقسم البحث إلى موضوعات عدة ناقشنا فيها بدايةً نبذة عن حياة المؤلف ومنهج كتابه وموارده، ثم عرجنا على تتبع أبرز الإشكاليات التي تعرض إليها في كتابه هذا بصورة مختصرة.

المبحث الأول

التعريف بالمؤلف وكتابه

أولاً: التعريف بالمؤلف

أسمه ونسبه ونشأته

هو صالح عبد حسن الطائي، كاتب وباحث في الفكر الديني وشاعر وناقد، ولد في محافظة ديالى بداية شهر تموز من عام ١٩٥١، يعود نسبه إلى قبيلة (طي) العربية، سكنوا بغداد قديماً، في منطقة الوزيرية في الرصافة، ولازالت أملاكهم هناك تزهو الى يومنا هذا. (كاظم، 2020، ص44).

ألجأتهم الظروف قبل ولادته بزمن طويل للانتقال الى (لواء) بعقوبة، محافظة ديالى حاليا، فسكنوا قرية تسمى (سعدية الشط) وفيها ولد وقضى سنوات طفولته المبكرة ، وقبل أن يتجاوز الثالثة عادت عائلته الى بغداد وسكنت إحدى بساتينهم التي تقع على نهر دجلة في الكاظمية. (كاظم، وظاهر، 2018، ص111).

ويعرف هذا البستان باسم (بستان علاكة)، والسبب في تسميته بهذا الاسم ، لأن جده الأكبر حين سُئل عن سبب شرائه وهو بستان صغير مساحته خمسة دوانم، وكان يرغب شراء بستان كبير بمساحة أكبر؟ فكان جوابه عن ذلك التساؤل: (إنه علاكة البيت)، والعلاكة بالعامية: هي الكيس الذي توضع فيه البقالة عندما

نشتريها، أي أنه اشتراه ليستخدم انتاجه لسد حاجات بيته وبيوت ابنائه لا للتجارة به والربح منه. وقد وُلد باحثنا في هذا البستان وداره الاولى في الكاظمية بداية الستينات القرن الماضي. (كاظم، ٢٠٢٠، ص47).

كان عمل العائلة في الكاظمية بتجارة الحبوب، وكان والده يصطحبه معه إلى مكان عمله، ويبقيه معه ليعلمه كيفية التحمّل لساعات العمل الطويلة في البرد والحر، وكيفية التعامل مع الناس وأسس البيع والشراء، فضلاً عن طريقة التعامل مع المرؤوسين وهم العمال (الحمالين)، الذين كانوا يعملون لدى والده وكان عددهم كبيراً. وكان في الوقت ذاته يجبره على اصطحاب كتبه المدرسية أيضاً معه إلى مكان العمل، ليراقبه ويحثّه على القراءة، وبسبب مضايقات الاجهزة الامنية للعائلة آنذاك ولاسيما الدكتور صالح الطائي، ومتابعتهم باستمرار له ولأسرته، اختار أن ينتقل من منزل العائلة إلى منزلٍ آخر في منطقةٍ أخرى (حي السفارات) كونها كانت بعيدة عن أنظار الأجهزة الأمنية والحزبية ومتابعاتهم. (كاظم، وظاهر، 2018، ص111).

وكان يعيش حياته مترقباً ومبتعداً – قدر الإمكان – عن مراقبة السلطة الحاكمة آنذاك، إلا أنه لم يسلم من الاعتقال، فاعتقلته الأجهزة الأمنية الصدامية ثلاث مرات، ما بين عامي 1975 – 1977، وظلَّ بعد هذه الاعتقالات يعيش حياة الترقب والخوف من السلطة التي كانت تتهدده بين فترة وأخرى. (كاظم، وظاهر، 2018، ص111).

وبعد انتهاء الحكم البعثي عام 2003، ظنّ الطائي أن معاناته قد انتهت، ولكنه لم يكن يعلم أن حقبةً أخرى من المعاناة كان مقدراً له أن يعيشها ويتعايش معها، فقد دفعت الظروف الاستثنائية التي تلت الاحتلال الأمريكي سنة 2003 وما تبعه من أعمال إرهابية وطائفية شاعت آنذاك، إلى اختطافه بدوافع طائفية سنة 2006، وتعرض لعمليات تعذيب كبيرة انتهت بتحريره على أيدي القوات الأمنية العراقية بعد اسبوعين من الاختطاف ذاق على إثرها أصنافاً مختلفة من أنواع العذاب الجسدي. ولولا الصدفة وحدها هي التي قادت إلى تحريره لكان في الموضوع كلام آخر، ولكن الله كتب له عمراً جديداً وحياةً جديدة. (كاظم، 2020، ص52).

تحصيله العلمي والثقافي

بدأ الطائي أولى خطوات مسيرته التعليمية في مدرسة الأنباريين الابتدائية، عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٦١، كانت هذه المدرسة تمتلك أفضل المدرسين وأجودهم يمتلكون كفاءة وحرصاً مما أسست للطائي الانطلاق في الأفق الواسع بالحياة. (كاظم، 2020، ص54).

انتقل بعدها إلى متوسطة أبي العلاء المعري عام ١٩٦٢، وكانت أيضاً مدرسة رائعة تلقى فيها دروس اللغة والنحو والتعبير والإنشاء على يد استاذين فاضلين هما يعقوب الفلاحي ومزهر الشيخلي الذين كان لهما الفضل الكبير في تشجيعه على الكتابة، وكانوا دائمي التشجيع له على المطالعة الخارجية بما كانوا يجلبونه له

من روايات عالمية مختلفة ودواوين شعرية لكبار الشعراء. فشكلت هذه المدرسة أساس الانطلاق لموهبته في الكتابة والتأليف. (كاظم، وظاهر، 2018، ص113).

وبعد أن أكمل دراسته الثانوية، كان من الطبيعي أن يختار الفرع الأدبي مدفوعاً بشغفه للأدب والشعر والتاريخ، ومشفوعاً بتشجيع أساتذته آنذاك الذين توسموا فيه النشأة الأدبية التي قد ينطلق منها مبدعٌ أدبي كبير. (كاظم، ٢٠٢٠، ص58).

وخلال دراسته الإعدادية وبعد إتمامها كان متابعاً جيداً لكل الإصدارات الأدبية والروايات المترجمة التي كانت تقع تحت ناظريه، فكان يقرأ بشغف كبير وصل به أن يتمَّ الرواية الطويلة بجلسة او جلستين، كما كان له شغف الكبير بقراءة كتب التاريخ مما جعله يدرس علم التاريخ وهي أمنية نجح في تحقيقها حين أكمل دراسته الجامعية في تخصص التاريخ من الجامعة المستنصرية سنة 1974، بعد حصوله على بكلوريوس في علم المكتبات. (كاظم، 2020، ص59).

وبسبب الظروف التي كان يعيشها آنذاك بسبب الحكم البعثي، واعتقاله لأكثر من مرة، فقد تأخرت أمنيته بإكمال دراسته العليا كثيراً، ولكنها لم تثني عزيمته بالكتابة والتأليف، فأصدر سلسلة من المؤلفات في السيرة والتاريخ والأدب والشعر، وبسبب اشتهار تلك المؤلفات عالمياً، وترجمة بعضها إلى اللغات الأخرى، فقد منحته الجامعة الأمريكية للأبحاث والتنمية (American University for Research and Development) درجة الدكتوراه في فلسفة اللاهوت. (كاظم، وظاهر، 2018، ص114).

ثم أخيراً وبعد طول انتظار، سافر إلى مصر لينتظم طالباً في الجامعة الاسلامية للدراسات الإسلامية والإنسانية، فأكمل دراسته العليا هناك، وحصل على الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية بدرجة امتياز عن اطروحته (أثر التاريخ والبيئة على علاقة العرب بزيارة القبور).

وبعد ذلك أوقف الدكتور الطائي كل وقته على البحث والكتابة، واهتم كثيراً بحوار الأديان، ووظَّف ذلك في منهجه البحثي مشدداً على أهميته موضوع الحوار بين الأديان، ولذلك تمت دعوته لحضور مؤتمر (حوار الأديان) الذي عقد في العاصمة التركية اسطنبول بحضور الرئيس الامريكي اوباما ومن ضمن المؤتمر اقيمت ورشات عمل خاصة بالعراقيين حصل على أثرها على شهادة في التحليل وحلِّ النزاعات من معهد السلام الأمريكي. (كاظم، 2020، ص63).

أهم مؤلفاته

انكبَّ الدكتور صالح الطائي على التأليف والكتابة، فقدّم مجموعة كبيرة من المؤلفات المتنوعة في موضوعاتها، بين المؤلفات الفكرية التي أخذت سمة منهجية مميزة وهي البحث في التراث الإسلامي

ومحاولة تقديم رؤية جدية للعديد من القضايا التي اختلف فيها المسلمون، فكانت كتاباته في غالبيتها محاولة لتجديد الفكر الإسلامي بروح معاصرة تنبذ التطرف وتبحث في إيجاد مكامن التعايش السلمي بين طيّات الفكر الإسلامي الذي طالما كان يرى ضرورة التعايش السلمي بين مكونات المجتمع، ونبذ ثقافة التطرف والإرهاب. ومؤلفاته الأخرى التي أخذت طابعاً أدبياً بين الشعر والنقد، فترك مجموعة من المؤلفات الأدبية وبعض الدواوين الشعرية. ومجموعة ثالثة من المؤلفات كانت متنوعة في موضوعاتها التي حاول فيها تقديم بعض الكتب المفيدة لفئات معينة من المجتمع فاستهدف فيها طبقة الشباب، وهي من المؤلفات التي عُنيت المؤسسات التربوية والدينية بطباعتها والاهتمام بها لما فيها من أهمية كونها تخاطب رجال المستقبل والجيل الواعي الذي تقع على عاتقه مهمة بناء المجتمع. وقد بلغت هذه المؤلفات (84) مؤلفاً. ومن أهم مؤلفاته: (كاظم، 2020، ص62-67).

1. الصلاة تجارة لن تبور، طبعة محدودة، الكاظمية، 1976.
2. أنا وصديقي، مجموعة خواطر سياسية دينية، 1978.
3. الليل والهيل والبارود، مجموعة شعرية، 1985.
4. الإيدز شيطان العصر؛ حينما يتقرد الإنسان، 1992.
5. نحن والآخر والهوية، 2013.
6. جزئيات في السيرة النبوية عرض وتحليل، 2010.
7. نظرية فارسية التشيع بين الخديعة والخلط التاريخي والمؤامرة - 2011.
8. الإمام موسى بن جعفر والظلم التاريخي 2011.
9. محمد رسول الرحمة والهادي البشير، 2011.
10. عوالم الحكومة المهدوية، 2012 -
11. خرافة كثرة زوجات الإمام الكاظم، 2013.
12. الحسن بن علي الإمامة المنسية، 2015.
13. أثر النص المقدس في صناعة عقيدة التكفير، 2015.
14. ثائر في قرن الدماء سعيد بن جبير، 2015.
15. مفاوضات كربلاء الأصل والتحريف، 2016.
16. علي بن أبي طالب الحاكم الديني للدولة المدنية، 2016.
17. إليك فقط، 2017.
18. نوبات شعرية، 2017.

19. الغزوة السادسة؛ طبيعة العنف الإسلامي، 2018.
20. الناسخ والمنسوخ محاولة لإعادة تراتبية الإسلام، 2019.
21. سر الوضوء. 2023.

ثانياً: التعريف بكتاب (الناسخ والمنسوخ محاولة لإعادة تراتبية الإسلام بعد عصر البعثة)

نحاول في هذه القراءة السريعة أن نقدم نبذة بسيطة عن منهجية الدكتور صالح الطائي في كتابه (الناسخ والمنسوخ محاولة سياسية لإعادة تراتبية الإسلام بعد عصر البعثة)، والموارد التي اعتمدها في كتابه، والناظر لهذا العنوان يتصور له في البداية أن هذا المشروع هو محاولة لخلط التدبير السياسي للدول الإسلامية التي قامت بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والخلفاء الراشدين من بعده، والنص المقدس للقرآن الكريم الذي قام عليه الإسلام كله، ولكنها في الحقيقة محاولة من الباحث تقديم صورة مغايرة للقراءة الإسلامية لموضوع طالما شغل المفكرين المسلمين، وهو موضوع النسخ في القرآن الكريم، فهذا الموضوع شغل بال العلماء فخاضوا فيه لدرجة أنه اختلط عليهم المنهج الإسلامي اختلاطاً كبيراً، ساعدهم في ذلك رغبة بعض الذين وصلوا إلى سدة الحكم في تنمية هذا المنهج – المنحرف – لكونه يساعدهم في ترتيب أوضاعهم ويمكنهم من إحكام قبضتهم على مصادر قوتهم في السلطة.

لذا فقد بدأوا في تغذية هذا المنهج تغذية راجعة عمدوا من خلالها تقوية هذا السلوك غير المبرر في الركون إلى الانحراف عن مسار الدين الحقيقي، فلا يعقل أن يكون المنهج الإسلامي الذي اختطه القرآن الكريم والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد اختلط على الناس بهذه الصورة المعقدة، وهم قريبو عهد بالنبوة والرسالة، لذلك جاءت كثير من المحاولات الجادة في تسليط الضوء على منهج الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأنه مثّل بداية الانحراف العقدي عند المسلمين، ولعل محاولة الدكتور صالح الطائي هي محاولة جريئة في نبش أغوار هذا العلم وتسليط الضوء على بداية الانحراف عن منهج الإسلام القويم.

ونحن هنا نريد أن تكون هذه الدراسة الوصفية التحليلية لموارد الكتاب ومنهجه محاولة منا في تقديم صورة واضحة لما قام به الباحث الطائي في هذا الكتاب.

بدأ الطائي كتابه هذا بتقديم أكاديمي نمطي في بحثه عن الموضوع، حيث عمد إلى تعريف النسخ في اللغة والاصطلاح والمفهوم الشرعي للمصطلح، ثم دخل في بدايات الموضوع تاريخياً من خلال عنوانٍ رئيسي هو (ولادة منظومة الحديث عن النسخ)، حيث استعرض فيه البدايات التاريخية الأولى لمحاولات العلماء الكتابة عن موضوع الناسخ والمنسوخ، وبرهن عن أن بداياته كانت بدايات بسيطة حول الحديث عن النسخ في بعض

الآيات المباركة، وكذلك آراء بعض العلماء الذي أنكروا وقوع النسخ من الأصل، بل قالوا آن آيات القرآن الكريم لا نسخ فيها، بل هي أوامر ومناهي. (صالح الطائي، 2019، ص78).

ثم أنه تناول في عنوانٍ آخر الناسخ والمنسوخ عن الشيعة الإمامية، وكشف من خلال ذلك آراء العلماء الذي انقسموا بين مثبت للناسخ في القرآن الكريم وبين القائلين بعدم وجوده، بعد ذلك تناول إشكالية شروط النسخ عند العلماء الذين اختلفوا في بعضها واتفقوا في بعضها الآخر، وقد اعتمد على رأي بعض كبار علماء المذاهب كابن العربي (ت 543هـ) وابن الجوزي (ت 597هـ) وغيرهم، فضلاً عن آراء بعض علماء المذهب الإمامي. (أنظر: صالح الطائي، 2019، ص79).

كما تطرق إلى إشكاليات الناسخ والمنسوخ عند العلماء، وكيف قدموا قراءاتهم بخصوصه، فاستعرض بعض الآراء التي تبيّن تلك الإشكاليات وردّ بعض العلماء عليها بين مصححٍ لها وطاعنٍ فيها. وقد خصص لهذا الجزء غالبية صفحات كتابه، مقدماً منهجاً وصفياً وتحليلياً عن أبرز تلك الآراء، ومتتبعاً لما جاء فيها من إشكاليات حاول من خلالها تقديم قراءة معاصرة جديدة عن هذا العلم الذي كثر الحديث فيه عن أهميته وضرورة قراءته قراءةً جديدة توضح موقف الإسلام الحقيقي للناسخ والمنسوخ من الآيات الكريمة، ومحاولاً إثبات أن غالبية تلك الإشكاليات ما هي إلا توظيف سياسي لهذه الآيات الكريمة التي حاول أصحاب السلطة استغلالها خدمةً لمصالحهم، وتقوية مراكز نفوذهم. وهذا المبدأ هو الذي سار عليه المؤلف في كتابه هذا.

أما الموارد التي اعتمدها الطائي مادةً لكتابه، فقد ركّز فيهما على أغلب المؤلفات التي كتبها المسلمون على مرّ تاريخهم وتأليفاتهم في علم (الناسخ والمنسوخ)، ومن تلك المصادر كتاب (الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى) لمؤلفه قتادة بن دعامة السدوسي (ت 117هـ) وهو من كبار التابعين. وكتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن) لمؤلفه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224هـ)، وكتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم) لمؤلفه أبو جعفر أحمد بن محمد النحّاس (ت 338هـ)، وقد استخدمه في مواضع عدة. وكتاب (الآيات الناسخة والمنسوخة)، لمؤلفه السيد الشريف علي بن الحسين المرتضى علم الهدى (ت 436هـ)، وكتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن) لمؤلفه القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري المشهور بابن العربي (ت 543هـ)، وكذلك اعتمد كتاب (نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه)، لمؤلفه أبو جعفر حمد بن عبد الصمد الخزرجي (ت 582هـ)، وكتابي أبي الفرج بن الجوزي (ت 597هـ) وهما: (نواسخ القرآن) و(المصفّى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ)، وقد اعتمد عليها الطائي كثيراً لما فيهما من معلوماتٍ موسعة. وغيرها من المؤلفات الكثيرة من المصادر الأولية.

أما من المراجع الحديثة فقد اعتمد الطائي على مجموعة كبيرة منها كتاب (لا نسخ في القرآن) لمؤلفه أحمد حجازي السقا، وكتاب (استحالة وجود النسخ بالقرآن) لمؤلفه إيهاب حسن عبده، وكتاب (النسخ في دراسات

الأصوليين) لمؤلفه نادية شريف العمري، وكتاب (النسخ بين المفسرين والأصوليين) لمؤلفه الدكتور عبد الرسول الغفاري، وغيرها الكثير.

والملاحظ على الكتاب أن المؤلف لم يختم الكتاب بخاتمة أو دراسة لأهم الاستنتاجات التي توصل إليها، فقد عمد إلى أن تكون تلك الاستنتاجات بعد الانتهاء من الموضوع الذي يتناوله وبعد نهايته يعطي تصوراً واضحاً لأهم تلك الاستنتاجات، لذا لم يرَ الباحث الطائي لأن يجعلها في نهاية كتابه، وإنما كانت مادة كتابه عبارة عن تحليل ووصف واستنتاج.

اشكاليات النسخ في القرآن الكريم

ذكر الباحث الطائي أن الهدف من تأليفه لهذا الكتاب هو الكشف عن الانحراف الفكري الذي شاب الفكر الإسلامي بعد عصر البعثة النبوية الشريفة والخلافة الراشدة، حيث كانت كل الدلائل تشير إلى أن الحديث عن موضوع الناسخ والمنسوخ هو حديث سياسي أكثر منه حديث ديني عقائدي، وذلك – بحسب وجهة نظر الباحث – أنها أعادت تراتبية الإسلام من خلال إعادتها لتراتبية القرآن نفسه، وذلك خدمة لأغراض سياسية تبناها أصحاب السلطة آنذاك. (صالح الطائي، 2019، ص82).

فالحديث عن الناسخ والمنسوخ بهذه الطريقة ولاسيما من خلال كمِّ المؤلفات التي أُلفت في مختلف العصور والأزمنة، يثير تساؤلاً مهماً وهو: لماذا أولى العلماء كل ذلك الاهتمام لتلك الجزئية دون غيرها ؟ ونحن هنا لا ندعي أن علم الناسخ والمنسوخ ليس مهماً ولا ضرورياً، بل العكس تماماً فكل ما يتعلق بالقرآن الكريم هو مهم لكونه مصدر التشريع الأول، وهو على ارتباط وثيق بحياة الناس بصورة مباشرة.

إلا أن توسيع الحديث عن تلك الجزئية لإخراجها من أطوارها الطبيعية والدخول بها إلى عالم آخر يهدف إلى خدمة أنظمة سياسية مختلفة كانت تصارع لخدمة أهدافها ومصالحها أكثر من خدمة الدين والعقيدة الحقّة، ما هو إلا توسع مشبوه يجب الوقوف بوجهه، وكشف كل الأغراض الدنيئة التي تحيط به.

ومع هذا كله يرى الباحث أن هناك من كان يحاول التملص من تبعية ذلك كله ورمي الكرة في ملعب (الشيعة)، كما هو الحال دائماً، وقد شخّص ذلك بدقة حين ذكر أنهم ألقوا بتبعية هذه الفوضى على الشيعة تحديداً. (صالح الطائي، 2019، ص83).

وتأكيداً على ما ذهب إليه الباحث، فقد ذهب بعضهم إلى القول بأن أول من قال بالنسخ في القرآن هو هشام بن الحكم (ت 179هـ) ونسبوا له أنه قال: "إن القرآن نسخ، وصعد به إلى السماء". (الملطي، 1968، ص25). مع أن هناك مؤلفات في الناسخ والمنسوخ أقدم من ولادة هشام نفسه، ككتاب قتادة بن دعامة السدوسي وغيره.

المبحث الثاني

إشكاليات النسخ في القرآن

في كتاب (إشكاليات النسخ في القرآن الكريم: دراسة وصفية تحليلية لكتاب صالح الطائي "الناسخ والمنسوخ")

أولاً: إشكالية تعريف الناسخ والمنسوخ

يرى الدكتور صالح الطائي أن الإشكاليات في موضوع الناسخ والمنسوخ تبدأ من التعريف. ويستدل بقول الخزرجي (ت 582هـ) الذي قال: "وتجنباً للدخول في متاهة من المقارنة والنقد بين المدارس والاتجاهات، مما يضيق هذا المدخل على استيعابه، يبدو أن الموافق هو الاقتصار على تعريف واحد أقرب إلى مفهوم النسخ لغة وشرعاً". (الخزرجي، 1994، ج1، ص27).

وذكر أن التسطيح في مفهوم النسخ راجع إلى خلافهم الكبير وعدم اتفاقهم على تعريف لغوي لمفهوم النسخ على الرغم من تعدد التعريفات عند العلماء، وقد أورد تعريفات عدة تبّين عدم اتفاقهم على أصل واحدٍ للتعريف. (صالح الطائي، 2019، ص83).

ومن هذه التعريفات: أن النسخ هو: "إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب. فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يُفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران. ونسخ الكتاب: إزالة الحكم بحكم يتعقبه". (الأصفهاني، 1431هـ، ص801). ومنها أيضاً تعريف السيوطي (ت 911هـ) حين قال: "يرد النسخ بمعنى الإزالة، ومنه قوله: {فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ} [الحج: 52]، وبمعنى التبديل، ومنه: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ} [النحل: 101]، وبمعنى التحويل، وبمعنى النقل من موضع إلى موضع". (السيوطي، 1974، ج5، ص821).

وتعريف آخر يرى أن النسخ على معنيين هما: الإزالة، والنقل. (ابن منظور، 1414هـ، ج6، ص123). فيما اختلف الأصوليون في أن المعنيين استعمل كلاهما على نحوين مختلفين، كان الأول حقيقياً، فيما أخذ المعنى الثاني معناً مجازياً. (ابن حزم الاندلسي، 1986، ج2، ص354). فيما ذهب بعضهم إلى عدِّ كلا المعنيين حقيقيين. (النحّاس، 2007، ، ص8).

أما تعريف النسخ اصطلاحاً، فهو أقل اختلافاً من التعريف اللغوي، وقد اتفق أغلب العلماء على أنه بين معنيين هما التخصيص والتقييد، فذهب بعضهم إلى القول بأن النسخ هو: "كل ما يطرأ على ظاهر النص من تخصيص عمومه، أو تقييد مطلقه، أو بيان مجمله، أو تدريج حكمه، أو تخفيفه، أو إلغاء الحكم أو نحو ذلك". (الزلمي، 2014، ص17). أما عند المتأخرين من العلماء فقد اتفقوا على أن النسخ وإن اختلفت تعاريفه إلا أنها: "تدور حول معنى واحد، وهو أن النسخ: إلغاء حكم شرعي سابق بدليل شرعي لاحق". (الزلمي، 2014، ص20).

أما تعريف النسخ عند علماء الإمامية فقد اكتفى الطائي بإيراد تعريف واحد له كون أغلب علماء المذهب الإمامي قد اتفقوا على مفهوم متقارب من حيث المعنى وهو لا يعدو أن يكون: "رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية، أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى". (الخوئي، 1974، ص279).

ثانياً: الحكمة من وجود النسخ

انتقد الدكتور صالح الطائي عند حديثه عن الحكمة من وجود النسخ في القرآن الكريم بعض الآراء التي ادَّعت عدم وجود حكمة من النسخ، مؤكدين أن: "مجرد وجوده يستلزم بحد ذاته عدم حكمة الناسخ أو جهله بوجه الحكمة". (صالح الطائي، 2019، ص23).

ويرى أن هذا الرأي الخاطئ قد أضرَّ بالمنظومة الإسلامية اضراراً كبيراً، وأتاح الفرصة أمام الملحدين والمستشرقين أن يجدوا ضالتهم في توجيه النقد اللاذع للقرآن الكريم وآياته، على أساس أنها غير متزنة وقابلة للخطأ، فوظفوا ذلك كله للطعن بالإسلام. (صالح الطائي، 2019، ص23).

في الوقت نفسه أكد الباحث وجود النسخ في القرآن الكريم، موضحاً جملة من الأسباب الموجبة لوجوده، منها أنه جاء تخفيفاً عن المسلمين ومراعاةً لمصالحهم مستشهداً بقوله تعالى: {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المجادلة: 12]. وهذه الآية تخصُّ الأمر بتقديم صدقة من المسلمين لمن أراد مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يعمل بها إلا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. (الطبري، 2001، ج5، ص45). مؤكداً أن هذا النسخ يعدُّ منهجاً تربوياً يستهدف تقسيم حياة المجتمع إلى مراحل، فضلاً عن إيجاد قوانين تتناسب وكل مرحلة منها. (صالح الطائي، 2019، ص25).

وقد أكد الباحث رأيه هذا بما نقله عن الإمام علي عليه السلام حين سُئل عن رأيه في الناسخ والمنسوخ فقال: "إن الله تبارك وتعالى بعث رسوله بالرأفة والرحمة، فكان من رأفته ورحمته أنه لم ينقل قومه في أول نبوءته عن عاداتهم حتى استحكم الإسلام في قلوبهم وحلَّت الشريعة في صدورهم". (المرتضى، د.ت، ص44).

ولعلَّ أبرز الأدلة على ذلك ما ذكره الباحث في موضوع الزانية التي نزل فيها بدايةً قوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء: 15]. وحبس الزانية في المنزل كان هو السائد في عصر الجاهلية، فكان هذا الحكم متماشياً مع ما عهدوه في أنماط حياتهم الاجتماعية. ولكن بعد أن استحكم الإسلام في النفوس وقوي في القلوب نزل قول الله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: 2]. فنُسخ الحكم الأول بهذا الحكم. (المرتضى، د.ت، ص87).

ويؤكد الباحث بعد هذا التفصيل وجود النسخ في القرآن الكريم، بل ويعدّه من أساسيات المجتمع، لأنه يهدف إلى محاولة دمج أفراد المجتمع مع بعضهم، على الرغم من الاختلافات الموجودة. ويعدُّ ذلك من أهم الأسباب على وجود النسخ. (صالح الطائي، 2019، ص28).

ثالثاً: ردّه على المنكرين لوجود النسخ

خصّص الباحث الطائي صفحات كثيرة للرد على المنكرين لوقوع النسخ في القرآن الكريم، ولاسيما المحدثين منهم، منها قول أحد الباحثين: "الشيء ومقابله في القرآن ليس ناسخاً ومنسوخاً، بل هما منهي عنه ومأمور به". (الجبري، 1964، ص7). فيما قال آخر: "إن القرآن الكريم آياته محكمة لا نسخ فيها، وكل آية من آياته يجب على الناس أن يقرأوها، وأن يعملوا بها". (الجبري، 1964، ص7). فيما قال ثالث: "لا منسوخ في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة التي نزل بها الوحي على رسول الله، وأن في الآيات التي يُدَّعى نسخها تشريعات هامة يجب الأخذ بها". (الجبري، 1964، ص7).

وغيرها من الآراء الكثيرة التي أوردها للباحثين، وكان رأي الطائي أن سبب تعارض هذه الآراء هو الفوضى التي أحدثتها منظومة الأحاديث في إثبات وقوع النسخ أو عدم وجوده، إلا أن المهم من ذلك أنه لا يمكن استبعاد وجوده النسخ لورود الدليل القرآني عليه أولاً، ووجود آراء عدة لأئمة أهل البيت تدل على وقوعه. (صالح الطائي، 2019، ص34).

وهذا يعني أن الباحث قد أكد على أن النسخ في آيات القرآن الكريم أمر لا يمكن إنكار وجوده لورود الأدلة الكثيرة على وجوده، نصيّة كانت أو روائية أو حتى عقلية. ولكن الاختلاف كان في عدد الآيات المنسوخة.

الإشكاليات الواردة في كتاب الناسخ والمنسوخ لصالح الطائي

أولاً: إشكالية أدلة وجود النسخ

استدل الطائي بسلسة من الأدلة على وجود النسخ في القرآن الكريم والسنة المطهرة بإيراده للعديد من الآيات الدالة على النسخ بحسب ما ذهب إليه كبار المفسرين المسلمين، ومن أهم هذه الآيات المباركة التي أوردها الباحث قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 106]. وذكر الطائي أن هذه الآية تدل بصراحة على وجود النسخ، مستدلاً على ذلك بما أورده ابن كثير (ت 774هـ) بقوله: "(ما ننسخ من آية): ما ينقل من حكم آية إلى غيره، فنبدله ونغيّره، وذلك أن يحوّل الحلال حراماً والحرام حلالاً والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً. ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة". (ابن كثير، 2002، ج1، ص375).

وكذلك استدلَّ بقوله تعالى: {يمحو الله ما يشاء ويُثبت} [الرعد: 39]. مؤكداً ذلك بما ذكره بعض المفسرين بأن المعنى: هو محو ما يريده الله تعالى من والفرائض، فينسخه أو يبدله. (البغوي، د.ت، ج4، ص143).

أما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد استدل بقوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [النحل: 101]، وذكر أنها من الآيات التي استدل بها القائلون بوجود النسخ من علماء المذهب الإمامي. (صالح الطائي، 2019، ص31). مؤكداً أن هذه الآية الكريمة لم تقتصر على أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإنما قال بها أصحاب المدارس الأخرى، وما يؤكد رأيه هذا ما ذكره الطبري (ت 310هـ) بقوله: "يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية، فأبدلنا مكانه حكم أخرى، والله أعلم بما ينزل: يقول: والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه". (الطبري، د.ت، ج17، ص297).

كما أورد آيات أخرى استدل بها على جواز النسخ ووجوده سواء في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أو المدارس الفقهية الأخرى، ولكننا نكتفي بإيراد ما أوردناه أعلاه.

كما أن هناك إشارات واضحة دلّت على وجود النسخ في فكر الأئمة عليهم السلام، من هذه الإشارات ما ورد في بعض كلام أمير المؤمنين عليه السلام وذكره الباحث بتمامه، نستقطع منه هنا محلّ الحاجة، حيث ذكر قوله عليه السلام: "إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام، كل قسم منها شافٍ كافٍ، وهي: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص. وفي القرآن ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، ... ومنه آياتٍ نصفها منسوخ ونصفها متروك على حاله ...". (المرتضى، د.ت، ص42).

وقد أكد الباحث أن مثل هذه الإشارات والآراء المستفادة منها التي تدلّ بصراحة على وجود النسخ في القرآن الكريم لهي كافية في إثبات وجوده. (صالح الطائي، 2019، ص37).

ثانياً: إشكالية أقسام الناسخ والمنسوخ

الإشكالية الأخرى التي ناقشها الباحث هي إشكالية أقسام الناسخ والمنسوخ، وهي من الأشكاليات المهمة، فقد أورد العلماء تلك الأقسام وأولوها الاهتمام الكبير لما فيها من أهمية كونها تمثل إثبات الحكم الذي وردت فيه الآية الناسخة من عدمه، ولنبدأ بالنوع الأول وهو **ما نسخ حكمه وتلاوته**، حيث اتفق أغلب العلماء – القائلين بوجود النسخ - على وجوده وصحته، إلا أنهم اختلفوا في الاستدلال عليه، وهذا النوع هو أحد أنواع النسخ وأكثرها صدقاً، ويرى أنه أمر جائز على وفق حدوده المعقولة. (صالح الطائي، 2019، ص38).

وقد انتقد الدليل الذي قامت عليه آراء العلماء في إثبات هذا القسم من النسخ، فقد استدلوا عليه بما روي عن السيدة عائشة قولها: ""كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله وهن مما يُقرأ من القرآن". (السيوطي، 1974، ج5، ص825). ومبنى انتقاده هذا حول غرابة هذا الحديث، فكما يفهم منه أن الآيات القرآنية كانت موجودة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنها اختفت بعد وفاته. (صالح الطائي، 2019، ص39). وهذا بحث منتهى الغرابة في الاستدلال، فهو دليل دامغ على وجود نقصٍ في القرآن، فضلاً عن آثاره المدمرة التي قد ينتج عنها القول بهذا الأمر.

كما انتقد محاولتهم ترميم الفوضى التي أحدثها الاستدلال بهذا الحديث وقولهم أنه يندرج تحت نفس القسم نوعان من النسخ هما: ما رفع رسمه وحكمه، وما رفع رسمه وحكمه. (الخزرجي، 1994، ص33). فقد اكتفى بالرد عليه بقول الأبياري: "وهذا عندي قسم يكاد سرده يدل عليه، ويكشف سقوطه، فما أجل الله حكيماً عليماً، وما كانت الرسالة تجربة بشرية يجوز عليها التعديل أو الوقوع فيما سينقُض بعد حين". (الأبياري، 1991، ص166).

وهو دليل على عدم قناعته بما حاولوا ترميمه من هذه الفوضى – على حد قوله – كونها أوقعتهم في إشكال آخر، وهو تقسيمهم هذا النوع إلى قسمين، مما يدلّ على أن محاولتهم هذه تفتقر إلى الدقة العلمية.

أما النوع الثاني وهو **ما نسخ حكمه دون تلاوته** فقد ذهب الباحث إلى أن هذه الإشكالية قد نشأت بسبب كمّ الأحاديث التي رواها السلف وأثبتها المحدثون في كتبهم، فخلقت مشاكل كبيرة في تفريع منظومة النسخ لأن الذين ذكروا هذه الأحاديث عجزوا عن تضعيفها بسبب وجودها في المصادر الحديثية المعتبرة – بحسب رأيهم – لذا لم يجدوا مجالاً سوى السكوت عنها، مما خلق إشكاليات كبيرة عجزوا عن التعامل معها على وفق نظريتهم حول النسخ، بل زادوا في ذلك الأمر أنهم بدأوا يبررون لمثل تلك الأحاديث ففاقم ذلك من حجم المشكلة، على الرغم من أن أكثر تلك الأحاديث هي أخبار آحاد، وهم يعلمون قيمتها من حيث الصحة والوثاقة. (صالح الطائي، 2019، ص44).

ولنأخذ مثالاً عن تلك الأحاديث التي ذكرها الباحث وهي كثيرة، ولكننا سنكتفي بإيراد ثلاثة أمثلة منها، وهي: (صالح الطائي، 2019، ص45).

1- ما روي عن ابن عمر قوله: "لا يقولن أحدكم: قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر منه". (أبو عبيد، 1995، ص320).
2- ما روي عن عائشة قولها: "كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن". (أبو عبيد، 1995، ص320).
3- والرواية الثالثة: عن زر بن حبيش، قال: "قال لي أبي بن كعب: كأيّ تعد سورة الأحزاب؟ قلت اثنتين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كُنّا لنقرأ فيها آية الرجم، قلت: وما آية الرجم؟ قال: (إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم)". (السيوطي، 1974، ج3، ص82).

ويؤكد الباحث أن كثرة هذه الأحاديث ورواجها في المصادر الحديثية قد جعلهم يبحثون عن مخرجٍ لهم ليتخلصوا من فكرة التحريف التي نشأت بناءً على هذه الأحاديث، وهذا المخرج الذي وجدوه، أو حاولوا التمسك به – على الرغم من علّاته – هو القول بنسخ الحكم دون التلاوة، وهو ما أسقطهم في عواهن جديدة تعلّقت هذه المرة بفكرة التحريف، أو فلنقل بفكرة القول بنقص القرآن التي تسربت إلى الفكر الإسلامي من خلال هذه الأحاديث ومحاولة إيجاد مخرج لها. (صالح الطائي، 2019، ص53).

وأضاف الباحث على ما تقدم من محاولتهم إيجاد تبرير مقنع لذلك بأنهم قد انتبهوا إلى تلك الفوضى التي أحدثوها فحاولوا إيجاد تبرير مقنع لتبيان حكمة وقوع هذا النوع من النسخ. (صالح الطائي، 2019، ص56).

وممن حاول تبرير ذلك السيوطي الذي قال: "إن القرآن كما يتلى ليُعرف الحكم منه والعمل به، فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه، فتركت التلاوة لهذه الحكمة... وأن النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ورفع المشقة". (السيوطي، 1974، ج3، ص77).

أما القسم الثالث من النسخ وإشكالياته فهو **نسخ التلاوة دون الحكم**، فقد ذكر الطائي أن أشهر الأحاديث التي اعتمدها مناصرو هذا القسم هو ما ورد عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه قال: "أيها الناس، قد سُنَّتْ لكم السنن، وفُرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة، إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً، وضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدّين في كتاب الله، فقد رَجم رسول الله، ورَجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة) فإنا قد قرأناها". (ابن عبد البر، 1991، ج2، ص21).

وقد انتقد الباحث هذا الرأي، متسائلاً عن معنى التمسك بآية الرجم دون غيرها من الفرائض والأحكام، فقال متهكماً: "ولا أدري لماذا لم يخش الآخرون من أن يطول بالناس زمان، حتى يقول قائل: لا نجد الحكم الفلاني أو الحكم الفلاني في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله؟! ليتم تأكيد موضوعة الرجم وحدها من بين جميع الأحكام المشمولة". (صالح الطائي، 2019، ص64).

وأكد أنه لا يوافق على هذا النوع من أنواع النسخ ولا يرتضيه، بل ولا يصدق بوجوده، ويُرجع سبب إيجاده إلى السياسة التي أوجدها المتربعون على السلطة لتكون غطاءً لبعض أفعالهم. (صالح الطائي، 2019، ص65).

ويفهم من قوله أعلاه أنه يرى أن السياسة ولاعبيها هم السبب المباشر في تفشي هذا النوع من الأفكار داخل الفكر الإسلامي، وتسربها من خلال تلك الأحاديث التي فضلاً عمّا أوجدته من فوضى فكرية، فقد انتجت كذلك آراء منحرفة استغلها أعداء الإسلام في توجيه سهام انتقاداتهم إليه، ولعل أكثرها جرأة هو ما تسربه من فكرة تحريف القرآن والقول بنقصه أو زيادته.

ثالثاً: إشكالية تعلم الناسخ والمنسوخ

الإشكالية الرابعة التي تحدث عنها الطائي هي تعلم الناسخ والمنسوخ وتعليمه، وهذا يتأتى من أهمية هذا الموضوع كونه يخص البناء العقائدي للفرد المسلم بالدرجة الأولى، فعلى المسلمين تعلمه، فضلاً عن العمل به.

وأوضح الباب تلك الأهمية من خلال ما قدمه من أحاديث تؤيد ما ذهب إليه من أهمية علم الناسخ والمنسوخ، منها ما ورد عن يحيى بن أكثم حين قال: "ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضا، والعمل به واجب ديانة، والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهى إليه...". (الغفاري، 1393هـ، ص59).

ولا يختلف الاهتمام بعلم الناسخ والمنسوخ عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام رواية تؤكد عنايته بتعلم وتعليم هذا العلم الجليل، فقد أورد ما نصّه: "انتهى علي بن أبي طالب إلى رجل يعظ الناس، فقال: أعلمت الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت". (النحاس، 2007، ص9). كما ورد عنه عليه السلام: "دخل علي بن أبي طالب المسجد فإذا رجل يُخَوُّف الناس... فأرسل إليه وسأله: أتعرف الناسخ والمنسوخ ، فقال: لا، قال: فأخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه". (النحاس، 2007، ص9).

وغير ذلك من الروايات الكثيرة التي أوردها الباحث للاستدلال على أهمية هذا العلم الجليل، وقد استدرك على تلك الروايات بقوله: "ونحن حينما ندعو إلى ضرورة تعلم الناسخ والمنسوخ وتعليمه إنما نقصد بذلك استعمال الطرق العلمية المبتكرة التي تناغم الواقع، وتتماهى مع مستوى المدارك المعاصرة، فالأسلوب التقليدي القديم ينضوي على قصص ترقى إلى مستوى الخرافة في بعض جوانبها، وحديث البعض عن الناسخ والمنسوخ يرقى في بعض جوانبه إلى مستوى اللامعقول". (صالح الطائي، 2019، ص79).

وهذا المستوى من اللامعقول الذي ذكره الباحث قصد به ما ورد من أحاديث يقف عندها الإنسان عاجزاً عن فهم المراد منها، منها ما ورد عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود قال: "أُنزلت على رسول الله آية فكتبتها في مصحفي، فأصبحت ليلة، فإذا الورقة بيضاء، فأخبرت النبي فقال: أما علمت أن تلك رفعت البارحة؟". (ابن الجوزي، 1984، ص34).

وكذلك ما ورد عن أبي أمامة بن سهل قال: "أن رهطاً من أصحاب النبي أخبروه أنه قام رجل منهم من جوف الليل، يريد أن يفتتح سورة، كان قد وعاها، فلم يقدر منها على شيء إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فأتي باب النبي حين أصبح، يسأل النبي عن ذلك، جاء آخر وآخر حتى اجتمعوا، فسأل بعضهم بعضا ما جمعهم، فأخبر بعضهم بعضاً بشأن تلك السورة، ثم أذن لهم النبي، فأخبروه خبرهم، وسألوه عن السورة، فسكت ساعة، لا يرجع لهم شيئاً، ثم قال: نسخت البارحة، فنسخت من صدورهم ومن كل شيء كانت فيه". (ابن الجوزي، 1984، ص34).

وقد انتقد الطائي مثل هذه الروايات وعدّها بمثابة مطبات ودهاليز أدخلوا الأمة في مزاليقها المظلمة، لدرجة أنهم عجزوا عن فك طلاسمها، ويبرز السؤال هنا: كيف يمكن تثبيت فكرة وجود النسخ وسط هذا التشابك العجيب حتى في أعداد الآيات المنسوخة، التي اختلفوا فيها بين 23 موضعاً، أو أكثر من مائة عند البعض. (ابن خزيمة، 1938، ص76)، (صالح الطائي، 2019، ص78).

ويستنتج الباحث من هذا كله أن كثرة الأحاديث واختلافها في علم الناسخ والمنسوخ قد حوّل هذا العلم من معنى البناء والتوجيه التربوي السليم، إلى طريق محفوف بالمخاطر والمفاجئات ويتعذر معه الإفادة منه على وفق المنهج الذي سيق لأجله. (صالح الطائي، 2019، ص78).

وهذا يضعنا أمام إشكالية أخرى ولدتها العبثية التي تلاعبت بالعقول من أجل إعادة تراتبية الإسلام على وفق القواعد السياسية العربية التي قادت الأمة والمجتمع، واحتاجت معها لمن يؤسس لها الشرعية اللازمة لبقائها على سدّة الحكم. (صالح الطائي، 2019، ص88).

رابعاً: إشكالية نسخ القرآن بالسنة

يعدُّ هذا الإشكال من أكبر الإشكالات التي أثارها الموضوع بحدِّ ذاته لما فيه من خلاف بين المسلمين في تقبله أو معارضته، فكلا الرأيين كان فيهما اختلاف كبير، فبعضهم رأى أن القرآن الكريم ينسخ بالسنة، ودليلهم قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 106]، فلا يمكن أن يعدل القرآن كلام آخر، ومنهم من رأي أنه لا يمكن قبول هذا النوع من النسخ، ودليلهم أن السنة النبوية هي كالقرآن بدلالة قوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى} [النجم: 3]. وحتى هذين الرأيين كانا يحويان خلافاً كبيراً وتجاذباً بين القائلين به أو الرافضين له.

وقد بيّن الطائي خلافهم هذا بالتفصيل، وبيان رأي كل رأي من الآراء الموافقة أو المخالفة، وسنكتفي ببعض ما أورده من بيان لمواطن الخلاف التي ذكرها دون أن ندخل في تفاصيلها لأنها كثيرة ومتشعبة.

ومن تلك الآراء الرافضة لنسخ القرآن بالسنة، رأي أبو الحسين البصري (ت 599هـ) الذي قال: "السنة ضربان: احدهما متواتر، والآخر آحاد. اما المتواتر، فقد منع الشافعي وطائفة معه بالعقل من نسخ القرآن به. واجازه المتكلمون وأصحاب أبي حنيفة من جهة العقل. واختلف هؤلاء، فمنهم من قال: قد وقع، ومنهم من قال: لم يقع، ولم يرد المنع منه". [أبو الحسين البصري، 1403هـ، ج1، ص424). كما ذهب ابن الجوزي إلى القول: "لا يجوز نسخ القرآن بالسنة". (ابن الجوزي، 1984، ص13).

أما الشافعي (ت 204هـ) فقد قال: "وأبانَ الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنةَ لا ناسخة للكتاب، وإنما هي تَبَعٌ للكتاب". (الشافعي، 1940، ص106). في حين جوّز أبو حنيفة نسخ القرآن بالسنة. (ابن تيمية، 2004، ج7، ص344).

أما رأي فقهاء الإمامية فهو يتفق مع الذاهبين بعدم جواز نسخ القرآن بالسنة، وهو ما ذهب إليه الشيخ المفيد بقوله: "إن القرآن ينسخ بعضه بعضاً، ولا ينسخ شيئاً منه السنةُ، بل تُنسخُ السنة بمثلها من السنة، قال الله عز وجل: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} [البقرة: 106]، وليس يصحُّ أن يُماثل كتاب الله تعالى غيره، ولا يكون في كلام أحد من خلقه خير منه ... والقول بأن السنة لا تنسخ القرآن مذهب أكثر الشيعة وجماعة من المتفقهة وأصحاب الحديث، ويخالفه كثير من المتفقهة والمتكلمين". (المفيد، 1413هـ، ص123-124).

ووسط هذه الآراء المتضاربة يصل الباحث إلى الخروج باستنتاج مفاده: إن الحديث عن الناسخ والمنسوخ وما فيه من تعارض سببه منظومة الحديث التي أدت بكثرتها إلى توسعة دائرة التعارض والخلاف لدرجة لم يعد تحديدها وتنظيمها بالأمر السهل. (صالح الطائي، 2019، ص98).

خامساً: إشكالية أول ما نسخ

وتأتي هذه الإشكالية مضافة إلى مجموعة الإشكاليات التي ناقشها الباحث في كتابه، ويرى أن منبعها يأتي من كم الاختلاف والتعارض الذي ولَّدته تلك المنظومة الحديثية التي دأبت تزداد كلما تقدم بنا الزمن على وفق آراء جديدة ومستحدثة افترضتها حقائق الخلاف الكبير في ضبط المشكلة الأساسية وهي مشكلة وجود النسخ من عدمه.

فهناك من يرى أن أول ما نسخ هو ما ورد بشأن القبلة، وهذا معارض بخبر آخر ورد عن معاذ أن أول ما نسخ هو موضوع الآذان. وهو معارض برأي ثالث مفاده أن أول ما نسخ هو التحدث في الصلاة، وهو منقول عن ابن مسعود، ورأي رابع أنه إقرار صلاة السفر بأربع ركعات. (أبو عبيد، د.ت، ص122)، وغير ذلك من الآراء.

ويرى الباحث من هذا التعدد في الآراء والتضارب الحاصل فيها أنه استمرار لمنهج الخيال والأسطرة التي دأبت على مرافقة مناهج الفكر الإسلامي في مباني الشريعة كافة لتأسيس فكرة إعادة التراتبية الإسلامية التي فرضتها السلطة الحاكمة على المنهج الإسلامي لاستمرار فرض سيطرتها على المجتمع. (صالح الطائي، 2019، ص106).

سادساً: إشكالية عدد الآيات المنسوخة

إنَّ هذه الإشكالية كسابقتها كذلك، تعددت فيها الأقوال وكثرت فيها الآراء، فمنهم من ذكر أنها عشرات، ومنهم من ذهب إلى أنها واحدة فقط، وبين هذا وذاك استعرض الباحث تلك الآراء وانتهى إلى القول: "وليس لدي ما أقوله عن هذا التباين الغريب سوى أن أقتبس من ابن الجوزي قوله في المقدمة عن زعم المفسرين: "واضح بأن التحقيق في الناسخ والمنسوخ يظهر أن هذا الحصر تخريف من الذين حصروه" (ابن الجوزي، 1984، ص40). (صالح الطائي، 2019، ص114).

واستدرك على ما ذكره بأن مرد تلك الأرقام الكبيرة من آيات النسخ، إلى عصر التابعين الذين انتشر فيما بينهم الحديث عن الناسخ والمنسوخ، واستغلال بعض ممن لديه مصالح شخصية لخدمة تلك الأهداف والمصالح الفئوية. حتى أن بعض المؤلفين في هذا العلم قد انتبه إلى ذلك فقال: "وقال آخرون بأن الناسخ والمنسوخ إلى الإمام ينسخ ما شاء". (النحاس، 2007، ص8). وهذا القول لو لم يجد آذاناً صاغية من قبل الحكام والمستفيدين لما تشجع وذكره. (صالح الطائي، 2019، ص118).

الخاتمة وأهم الاستنتاجات

توصل البحث في نهايته إلى الاستنتاجات الآتية:

1- يعدّ علم الناسخ والمنسوخ من العلوم المهمة كونها تتعلق بكتاب الله عز وجل، وهذا الكتاب – كما هو معروف – أساس التشريع في حياة الأمة الإسلامية، فعملية فهمه بصورة صحيحة تؤدي إلى بلوغ الغاية بوصفه بياناً للناس جميعاً.

2- يعدُّ الدكتور صالح الطائي من الباحثين المبرزين في مجال الفكر الإسلامي، وله مؤلفات ناهزت الـ(84) مؤلفاً غالبيتها كان في الفكر الإسلامي، ومؤلفاته هذه عالجت قضايا عديدة وموضوعات حساسة في التراث كان مجرد الخوض فيها يعد مشكلة بحد ذاته.

3- لم تقتصر مؤلفات الدكتور صالح الطائي على التأليف في الفكر والتراث، وإنما كانت له العديد من كتب النقد الأدبي، فضلاً عن عدد من دواوين الشعر كونه شاعراً وأديباً، وقد أسهمت هذه الملكة الأدبية التي يمتلكها في جعل مؤلفاته تمتاز بالتحليل العميق والنقد البنّاء بعبارة سهلة سلسلة يستسيغها الجميع على اختلاف مستوياتهم الثقافية، وهو ما زاد من قيمة مؤلفاته.

4- ناقش الدكتور صالح الطائي في كتابه العديد من الإشكاليات التي انطوى عليها موضوع الكتاب وهو الناسخ والمنسوخ، وقدمها بصورة سلسلة وبتكامل موضوعي شيّق، انتقل من خلالها بين موضوعات هذا العمل انتقالاً جميلاً بين موضوعاته، فهو يستعرض في الموضوع الواحد الآراء المختلفة، ثم ينتقل إلى الرد عليها كلاً بأدلته بعبارة واضحة وسلسة.

5- يحسب للدكتور صالح الطائي تسليطه الضوء على واحد من أهم الموضوعات التي تخص القرآن الكريم وعلومه، حيث أن هذا الموضوع شابته الخلافات والاضطرابات الكثيرة، وبوقوفه على كل تلك الخلافات فقد قدّم خدمة كبيرة للباحثين في هذه المحاولة الجريئة فيما يخص علم الناسخ والمنسوخ يستطيع من يرغب الاطلاع عليه والإفادة منه.

المصادر والمراجع

1. الأبياري، إبراهيم. (1991). تاريخ القرآن، ط3، دار الكتاب المصري، القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت.
2. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل. (1431هـ). مفردات ألفاظ القرآن، دار ذوي القربى، قم –ايران.
3. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (2004). مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية.
4. الجبري، عبد المتعال محمد. (1987). الناسخ والمنسوخ بين الإثبات والنفي، مكتبة وهبة، القاهرة ودار التوفيق النموذجية، الأزهر، القاهرة - مصر.
5. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. (1984). المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

6. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي. (1986). الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
7. أبو الحسين البَصْري، محمد بن علي الطيب المعتزلي. (1403هـ)، المعتمد في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
8. الخزرجي، أبو جعفر حمد بن عبد الصمد بن عبد الحق. (1994). نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
9. ابن خزيمة، المظفر بن الحسن بن زيد بن علي الفارسي. (1938). الموجز في الناسخ والمنسوخ، المكتبة العلامية، القاهرة - مصر.
10. الخوئي، السيد أبو القاسم. (1974). البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
11. الزلمي، مصطفى إبراهيم. (2014). التبيان لرفع غموض النسخ في القرآن، نشر إحسان للنشر والتوزيع. بيروت – لبنان.
12. السيوطي، ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن. (1974). الإتقان في علوم القرآن، ط2، دار نوبليس، بيروت – لبنان.
13. الشافعي، محمد بن إدريس. (1940). الرسالة، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر.
14. الطائي، صالح. (2019). الناسخ والمنسوخ، ط١، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة.
15. الطبري، محمد بن جرير. (2001). جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط١، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت – لبنان.
16. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. (1993). الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، دار الوعي، القاهرة – مصر.
17. أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي (د.ت).الناسخ والمنسوخ في القران العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية.
18. الغفاري، عبد الرسول. (1393هـ). النسخ بين المفسرين والأصوليين، ط2، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم – ايران.
19. كاظم، د. فوزي خيري. (2020). صالح الطائي مخاض ألم وإبداع قلم، ط١، دار ليندا للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا.
20. كاظم، د. فوزي خيري، وظاهر، سجاد ماجد. (2018)، صالح الطائي وآثاره في الفكر الإسلامي. (لارك) **DOI:** https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss30.256.
21. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي. (2002). تفسير القران العظيم، الكتاب العالمي للنشر، بيروت – لبنان.
22. المرتضى، الشريف علي بن الحسين بن موسى. (د.ت) الآيات الناسخة والمنسوخة، ط1، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي، بيروت – لبنان.
23. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري. (1413هـ)، أوائل المقالات، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، إيران.
24. الملطي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشافعي. (1968). التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، مكتبة المعارف بيروت - لبنان، ومكتبة المثنى، بغداد – العراق.
25. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. (2007). الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان.